

وختقاء

تأليف/ رفا عزيز المقياضي

دار أحرارنا المتبردة

مقدمة:

"الظلال التي لا تود أن تتركك"

في مدرسة كانت هادئة يوماً ما، اختفت فتاة. اختفاء لم يكن مجرد حادث عابر، بل كان بداية لرحلة مظلمة تكشف أسراراً لم تكن يوماً في الحسبان.

اسمها مريم، طالبة عادية في الظاهر، لكن خلف ابتسامتها كان يختبئ سر عميق. شيء من الماضي جعلها تتحول إلى لغز لا يعرف أحد إجابته.

اختفاؤها لم يكن حادثاً عادياً. وداخل جدران تلك المدرسة، بقيت الأبواب مغلقة على أسئلة بلا إجابة. خطواتها التي كانت تملأ الممرات أصبحت ذكرى باهتة، وصورتها التي زينت جدران الفصول اختفت دون أن تترك أي أثر.

ولكن، ما الذي يحدث عندما تكون الحقيقة مختلفة تمامًا
عما تبدو عليه؟

عندما يختفي شخص، ويكتشف الآخرون أنهم كانوا
يجهلون كل ما يدور حولهم؟

هل كان اختفاؤها محض صدفة، أم أنه كان البداية
لحبكة أكبر من مجرد سر غامض؟

في هذا المكان، حيث تلاحق الظلال كل من يحاول
الاقتراب، تبدأ الحقيقة في الظهور... ولكن فقط لأولئك
الذين يملكون الجرأة لمواجهةها.

الفصل الأول: "بداية النهاية"

كان الهواء في تلك الليلة أثقل من المعتاد، وكأن الأرض نفسها تحمل سرًا لا يريد أحد اكتشافه. رامي، الذي لم يعتد على التراجع أمام شيء، وجد نفسه هذه المرة محاصرًا بين الخوف والفضول. الكلمات التي سمعها من الظل ما زالت ترن في أذنه: "لقد تأخرت، لكن لا يزال هناك وقت."

من كان هذا الشخص؟ ولماذا كان ينتظره؟

بدأت يدها ترتعشان وهو يمسك بالدفتر القديم، لكن فضوله دفعه إلى فتح الصفحات الأولى مجددًا. كل صفحة بدت وكأنها تحمل أسرارًا مرعبة، كلمات كتبت بعناية، وبأسلوب غريب، كما لو أن الكاتب كان يعلم أنه سيترك أثرًا عميقًا في نفس من يقرأها.

صفحة بعد صفحة، وجد نفسه يغوص أكثر في عالم غريب. كانت هناك رموز غير مفهومة ورسومات غامضة لشخصيات وعيون تراقب من العتمة. ثم، في إحدى الصفحات، وجد خريطة صغيرة تشير إلى مكان قريب، ولكنه مكان لم يكن موجودًا على أي خريطة حقيقية.

"ماذا يعني هذا؟" همس لنفسه وهو يشعر بأنفاسه تضيق. هل هو مستعد حقًا لمعرفة ما وراء هذه الخريطة؟

قرر أن يتبع العلامات. قادتته الخريطة إلى أحد الممرات الخلفية في المدرسة، الممر الذي كان الجميع يتجنب الحديث عنه. كان يعرفه جيدًا، لكنه لم يجرؤ يومًا على دخوله وحده. لكن الليلة كانت مختلفة.

فتح الباب القديم الذي أطلق صريرًا مع كل حركة، وكان المكان ذاته يعترض على دخوله. أمامه كان الممر مظلمًا وملينًا بالغبار، كما لو أن أحدًا لم يدخله منذ عقود. لكنه لم يكن وحده. شعر بوجود شيء يتحرك، كأن الظلال نفسها كانت حية.

فجأة، سمع صوت خطوات خلفه. استدار بسرعة، لكنه لم يرَ أحدًا. تكرر الصوت، هذه المرة كان أقرب. كل خطوة كانت تجعله يشعر وكأن قلبه يوشك على التوقف.

"من هناك؟!!" صرخ، لكن صوته تردد في الممر كأنه لم يكن هناك أحد.

ثم، ظهر شيء غير متوقع. على الجدار أمامه، بدأ ضوء خافت يظهر. كان الضوء يشكل كلمات غريبة،

وكأنها مكتوبة بأيدي غير مرئية. اقترب ببطء ليقرأها،
وعيناه تتسعان رعباً مع كل حرف:

"إنهم هنا."

قبل أن يستوعب الكلمات، انطفأ الضوء فجأة، وساد
الظلام من جديد. لكن في ذلك الظلام، ظهر شيء واحد
فقط: عيون، عيون تراقبه من بعيد، تتحرك ببطء نحوه.

في تلك اللحظة، أدرك رامي أنه لم يعد هناك طريق
للعودة. ما كان يبحث عنه بدأ يبحث عنه هو أيضاً.

الفصل الثاني: العيون التي لا ترمش.

رامي لم يهرب. رغم الرعب الذي اجتاحه، وجد قدميه تسيران نحو العيون التي ظلت تراقبه في الظلام. كان يسمع صوت أنفاسه المتسارعة مختلطاً بصدى خطواته فوق البلاط المهجور. كل خطوة كان يشعر بها كأنها تدفعه أقرب إلى المجهول... أو نهايته.

العيون اختفت فجأة، تاركة وراءها صمتاً مرعباً. ثم، من زاوية الممر، ظهر الضوء مرة أخرى، ولكن هذه المرة كان أقوى. كان يصدر من باب خشبي قديم، كأنه ينتظر أحداً لفتحه. حدّق فيه بارتباك، ثم مد يده ببطء ليلاصق المقبض البارد.

"رامي...!" صوت خافت جاء من خلفه. استدار بسرعة، لكنه لم يجد شيئاً سوى الظلام.

"من هناك؟! أظهر نفسك!" صرخ، لكن الصوت عاد من جديد، أقرب هذه المرة: "رامي، لا تفتح الباب."

تردد للحظة، ولكن فضوله تغلب على خوفه. لف المقبض بحذر، فصدر صرير قوي كما لو أن الباب لم يُفتح منذ سنوات. خلفه كانت غرفة مظلمة تماماً، لكن وسطها كان هناك شيء يلمع تحت شعاع ضوء صغير قادم من السقف.

كان ذلك صندوقاً معدنياً قديماً. اقترب بخطوات مترددة حتى وصل إليه. على سطحه كانت هناك كلمات محفورة بأداة حادة: "من يفتحنى، يفتح أبواب اللعنة."

"العنة؟" تمتم لنفسه. ابتسم بسخرية رغم خوفه. هل يمكن أن يكون هذا مجرد خدعة أخرى؟

فتح الصندوق ببطء، وصدّم بما وجده. في الداخل، كان هناك مفتاح غريب الشكل، مصنوع من مادة سوداء لامعة كأنه ليس من هذا العالم. بجانبه، ورقة مطوية عليها خريطة أخرى... ولكن هذه الخريطة كانت مختلفة. لم تكن تشير إلى مكان داخل المدرسة، بل إلى منطقة مهجورة في أطراف المدينة.

وفجأة، سمع صوتًا مرتفعًا خلفه، كأن شيئًا ضخماً سقط من السقف. التفت بسرعة، ورأى كيانًا غريبًا يقترب منه. لم يكن بشريًا، ولم يكن ظلًا. كان شيئًا في المنتصف، يتحرك بطريقة غير طبيعية، وكأن كل جزء من جسده يتحرك منفصلاً عن الآخر.

"من أنت؟!!" صرخ رامي، محاولاً التراجع، لكن الكيان لم يرد. بدلاً من ذلك، مدّ يده الطويلة باتجاهه وأشار إلى الصندوق. ثم، بصوت منخفض مخيف، قال:
"أعده إلى مكانه... قبل أن تفتح الباب الثاني."

الفصل الثاني: "أصداء فقدان"

مرت أيام قليلة على اختفاء مريم، وما زال الغموض يلتف حوله مثل ضباب كثيف. الجميع كان يبحث، يتساءل، ويشكك في كل شيء. لكن لم يظهر أي أثر لها، وكأنها تبخرت في الهواء.

أصدقاؤها في الصف بدأوا يشعرون بالقلق، ولكن كانت هناك دائمًا تلك الأصوات المتشككة التي تسأل: "هل كانت مريم حقًا مختفية؟ أم أنها اختارت الهروب؟" البعض قال إنه قد يكون مجرد شجار صغير أو قلق عابر، بينما آخرون اعتقدوا أن اختفاءها كان جزءًا من شيء أعمق، شيء لا يمكن لأحد تفسيره.

بينما كانت المدرسة تواصل سيرها كالمعتاد، بدأت تظهر تفاصيل صغيرة لاحظها البعض. أولاً، تلك الأوراق التي وجدها بعض الطلاب على الجدران، في الزوايا المهملة والمظلمة. كانت تحمل كلمات مشوشة وغير مفهومة، لكنها أثارت شعورًا غريبًا لدى كل من رآها، وكأنها رسائل موجهة إلى مريم. "هل كانت هذه رسائل لها؟"

ثم، بعد يومين، اختفى شخص آخر.

في البداية، لم يلاحظ أحد. لكن عندما اختفى زميل في الصف خلال منتصف اليوم، تساءل الجميع إن كان ذلك مجرد مصادفة، أم أن هناك شيئاً ما يجري خلف الكواليس. الفتى الذي اختفى كان يُدعى إياد، وكان صديقاً مقرباً لمريم. لم يكن شخصاً عادياً، إذ كان يحمل بداخله سرّاً لم يفصح عنه لأحد. لكن مع اختفائه، بدأت الحقيقة تبدو أشبه بشبكة مترابطة من الغموض.

ومن ثم، كما لو أن أحدهم كان يراقب الجميع، بدأت أصوات غريبة تتردد في المدرسة. همسات خافتة في الممرات، كما لو كانت قادمة من مكان بعيد، ثم تختفي قبل أن يدرك أحد مصدرها. كان الصوت غريباً، متقطعاً، وكأنه نداء خفي. لكن لم يكن أحد يعلم لمن كان هذا النداء موجهاً، أو إن كان يخص مريم.

ثم جاء اليوم الذي تم فيه العثور على شيء غير متوقع.

في إحدى الزوايا المظلمة للمدرسة، اكتشف أحد الطلاب صندوقاً قديماً مغطى بالغبار. بدا وكأنه قد مر عليه زمن طويل، وكان مغلقاً بإحكام. داخل الصندوق، كانت هناك مجموعة من الصور القديمة. بعضها كان مشوهاً، والبعض الآخر يحمل أسماء غامضة وغير مألوفة.

ومن بين تلك الصور، كانت هناك صورة لمريم وهي صغيرة، وعيناها مليئتان بالحزن. وعندما نظروا إلى ظهر الصورة، وجدوا كتابة قديمة تقول: "عندما تختفي الحقيقة، لا مكان للرجوع."

ساد الصمت المكان، وكأن الجميع أدرك أن ما يحدث ليس مجرد سلسلة من الصدف. من كان قد ترك هذه الصور هنا؟ ولماذا كانت مريم جزءًا من هذا اللغز القديم؟ هل كان هناك رابط بين اختفائها وبين ذلك الصندوق العتيق؟

ثم جاء السؤال الذي بدأ يتسلل إلى عقولهم: هل كان اختفاء مريم مجرد بداية؟ وهل كانت هذه مجرد قطعة صغيرة من أحجية أكبر مما يمكنهم تصوره؟

مقدمة الجزء الثالث من رواية "اختفاء"

"حين تتشابك الأرواح مع الظلال، وحين يصبح الماضي مرآة للحاضر، تتسع الفجوة بين الحقيقة والوهم. وفي عمق تلك الفجوة، يكمن السر الذي لم يكن من المفترض أن يُكشف أبدًا."

في عالمٍ تكتنفه الخفايا، هناك خطوط لا يجب تجاوزها، أبواب لا يجب فتحها، وأسرار لا يجب كشفها. لكن ماذا لو أصبحت تلك الأسرار هي السبيل الوحيد للهروب؟

الظلام لا يخفي دائمًا ما نخافه... أحيانًا، يكشفه. كل خطوة نحو الحقيقة هي غوص أعمق في بحرٍ من الألغاز، وكل إجابة تحمل معها ألف سؤال.

ومع ذلك، هناك دائمًا صوت داخلي يهمس: "هل ستجرؤ على الاستمرار؟ أم ستراجع قبل أن يصبح التراجع مستحيلًا؟"

في هذا الجزء الأخير، ستتكشف الحقائق، لكن هل ستغلق الدائرة حقًا؟ أم أن كل نهاية ليست سوى بداية لدوامة أخرى؟

"بين الحقيقة والوهم"

لم يكن اختفاء مريم مجرد نهاية، بل كان بداية لواقع جديد، عالم مشحون بالغموض والأسئلة التي لا تنتهي. مع كل ما حدث، بدأت الحقيقة تظهر شيئاً فشيئاً، ولكن كل إجابة لم تكن سوى لغز جديد، أعمق وأعد من سابقه.

الجميع ظنوا أن القصة انتهت، لكن ما خفي كان أعظم. الظلال التي ظلت تلاحقهم في كل زاوية لم تكن مجرد أوهام. هناك شيء ما يختبئ خلف الستار، شيء أكبر من مريم، وأكبر من المدرسة. أسرار دفيئة بدأت تظهر على السطح، تغيرت الوجوه، لكن الظلال بقيت ثابتة.

الليالي أصبحت أطول، والأصوات الخافتة في الأروقة تحولت إلى همسات واضحة. بين الجدران المتشققة، وتحت الأرض التي تحمل ثقل الماضي، كان هناك شيء ينبض بالحياة، شيء لم يعد يرغب في الاختباء بعد الآن.

الأصدقاء الذين حاولوا الاقتراب من الحقيقة، وجدوا أنفسهم في مواجهة واقع قد يسلبهم أكثر مما يحتملون. الخوف لم يعد مجرد شعور، بل أصبح جزءاً من المكان ذاته، وكأن المدرسة نفسها تتنفسه.

الآن، لم يعد السؤال فقط: "أين مريم؟" بل أصبح: "من التالي؟ ومن يملك الشجاعة الكافية

الفصل الثالث: "الصندوق المغلق"

لم يتحرك رامي. كانت عيناه متسمرتين على الكيان الذي أشار إلى الصندوق. أنفاسه ثقيلة، وجسده متجمد كأن قدميه التصقتا بالأرض. الصوت الذي خرج من الكيان كان أشبه بهمسات الرياح، لكنه كان واضحًا في كلماته: "أعدّه... قبل أن تُفتح الأبواب."

لكن رامي لم يتحرك. كيف يمكنه إعادة شيء قد فتحه بالفعل؟ ثم ماذا يقصد بالأبواب؟ كانت الأسئلة تتزاحم في عقله، لكنه قرر ألا يُظهر خوفه.

"لماذا؟ ماذا سيحدث إن لم أعدّه؟" سأل بصوت ثابت رغم الارتجاف الذي شعر به في داخله.

لم يرد الكيان مباشرة. بدلًا من ذلك، بدأ يتحرك بخطوات بطيئة ودائرية حول رامي، وكأن وجوده كان يُضيق المساحة من حوله. ثم قال بصوت أكثر قتامة: "ما رأيته ليس إلا البداية... وهناك من يراقب. إذا أصرت على الاستمرار، لن تكون وحدك بعد الآن."

تردد صدى هذه الكلمات داخل عقل رامي. "من يراقبني؟ وما الذي فتحته حقًا؟"

قرر أن يتراجع خطوة إلى الخلف، لكنه شعر بشيء خلفه. استدار سريعًا ليجد الحائط قد تحول إلى مرآة ضخمة تعكس وجهه. لكن

انعكاسه لم يكن طبيعيًا؛ خلفه ظهرت عيون غريبة، تراقبه من الفراغ، تشبه تلك التي رآها في الظلام.

"من أنتم؟! ماذا تريدون مني؟!!" صرخ.

لكن انعكاسه لم يصرخ. بدلاً من ذلك، ابتسم انعكاسه بسخرية وقال: "هذه ليست أسئلتك التي يجب أن تسألها، رامي. بل السؤال الأهم هو: هل ستحمل الحقيقة؟"

بدأت المرأة تتشقق ببطء، وكأنها على وشك الانفجار. أغلق رامي عينيه ورفع يديه لحماية وجهه، لكنه لم يسمع صوت تحطم. عندما فتح عينيه، اختفت المرأة، والكيان، وحتى الغرفة نفسها.

وجد نفسه واقفًا في الممر المظلم مجددًا، لكن هذه المرة كان الصندوق المفتوح بين يديه، والمفتاح الأسود يلمع تحت ضوء القمر القادم من نافذة صغيرة. الورقة المطوية بالخريطة بدت وكأنها تشتعل من تلقاء نفسها، تاركة خلفها رمادًا خفيفًا تلاشى في الهواء.

قبل أن يستوعب ما حدث، سمع صوتًا جديدًا. خطوات قادمة من بعيد، خطوات بشرية، لكنها ثقيلة، كأن من يسير كان يسحب شيئًا خلفه. الصوت ارتفع أكثر وأكثر، حتى توقف فجأة.

"رامي؟" ناداه صوت مألوف، لكنه لم يكن متأكدًا إذا كان يجب أن يثق به.

الفصل الثالث: الحقيقة الأخيرة

الصندوق فتح على مصراعيه، وكان العالم بأسره انقلب رأسًا على عقب. وجد رامى نفسه في غرفة قديمة ذات جدران حجرية، تتوسطها طاولة كبيرة عليها خريطة غامضة ورسائل مكتوبة بخط يد والدته.

أخذ الرسالة الأولى وقرأ:

"رامى، إذا كنت تقرأ هذا، فأنت الآن تعرف. الصندوق كان لعائلتنا منذ قرون، وكان حاملوه دائمًا يدفعون الثمن. لكنك الوحيد الذي يمكنه كسر هذه اللعنة."

امتلات عيناه بالدموع وهو يجمع القطع المتناثرة من الرسائل، ليكتشف حقيقة مروعة: مريم ليست سوى وهم، شخصية خلقها الصندوق ليرشده نحو الحقيقة. أما هند، فقد كانت الضحية التي أُجبرت على الدخول في هذه المتاهة لإنقاذه.

لكن بين الرسائل وُجد خيط أمل. كتبت والدته في الرسالة الأخيرة: "افتح المرآة الأخيرة، وستجد المفتاح الذي سينقذ هند ويغلق الصندوق إلى الأبد."

وقف رامى أمام المرآة الأخيرة في الغرفة الحجرية، قلبه ينبض بشدة وهو يمسك المفتاح. كانت هذه اللحظة الحاسمة.

"إن فعلت هذا، لن تعرف أبدًا ما الذي كان سيحدث... لكنك ستنقذها."
تردد صوت مريم في رأسه.

بيد مرتجفة، أدخل المفتاح في القفل. بدأت المرآة تتصدع، وانطفأت أضواء الغرفة تدريجيًا، حتى تلاشى كل شيء. الصندوق اختفى، ومعه الظلال والأصوات.

حين فتح عينيه، وجد نفسه في الغابة مجددًا. بجواره كانت هند، مستلقية بهدوء وكأنها غارقة في نوم عميق.

"انتهى الأمر..." قال بصوت متردد.

لكن قبل أن يغادر، لاحظ كلمات محفورة على جذع شجرة قريبة:
"لكل حقيقة ثمن. هل كنت مستعدًا لدفعه؟"

عندما عادا إلى المدرسة، بدت الأجواء طبيعية ظاهريًا. الطلاب عادوا إلى أماكنهم، المدرسون يواصلون عملهم، لكن شيئًا في الأجواء كان يوحي بأن المكان يحمل ذاكرة مختلفة.

رامي وقف أمام باب غرفة المدرسة المغلقة، الغرفة التي بدأت فيها كل هذه الفوضى. أمسك بالمقبض بحذر، لكنه شعر ببرودة تسري في يده، وكأن الباب يرفض أن يُفتح.

"رامي، دعنا نذهب. لقد انتهى كل شيء." قالت هند بنبرة قلقة.

لكنه لم يستطع المقاومة. دفع الباب بقوة، وفجأة انفجر المكان بضوء قوي غمر الغرفة.

داخل الغرفة، بدت الجدران مغطاة برموز قديمة ونقوش غامضة، وكأنها توثق تاريخ المدرسة السري الذي لم يُكتب في أي سجل. في منتصف الغرفة كان هناك كتاب ضخمة، مفتوح على صفحة تحمل نفس الكلمات التي قرأها في الرسالة:
"من يغلق الصندوق يعيد التوازن، لكن للأسرار أثمانها."

رامي تقدم نحو الكتاب، لكنه شعر بظل خلفه. استدار بسرعة ليجد انعكاس مريم في نافذة الغرفة. لكنها لم تكن مريم التي عرفها... بل كيان غامض، يحمل في عينيه حزنًا عميقًا وأسرارًا لا تنتهي.

"رامي، لقد فعلت ما يجب. لكن هذا المكان لن يعود كما كان أبدًا. المدرسة تحمل أكثر مما تراه العين."

"من أنتِ الآن؟" سأله بصوت مرتجف.

"أنا من كنت... ومن ستبقى." قالت بابتسامة غامضة قبل أن تختفي بين الظلال.

عندما غادر رامي وهدت الغرفة، شعرا أن المدرسة أصبحت مختلفة.
الأصوات، الألوان، وحتى الهواء... كل شيء كان مشحونًا بشعور
غريب.

رامي وقف في منتصف الساحة، ينظر حوله. الطلاب يتحركون،
المدرسون يتحدثون، لكن شعورًا غريبًا ظل يطارده.

"رامي، انتهى كل شيء الآن، أليس كذلك؟" سألت هند، لكنها لم
تحصل على إجابة.

بدلاً من ذلك، مشى رامي نحو الجدار الخلفي للمدرسة. هناك رأى
نقشًا جديدًا لم يكن موجودًا من قبل:
"من يعيد التوازن، يبقى شاهدًا على الأسرار. أنت الحارس الأخير."

في تلك اللحظة، أدرك رامي أن الصندوق قد اختفى، لكن المدرسة
نفسها كانت الصندوق الأكبر. الأسرار لم تُغلق... بل انتقلت إليه.
أصبحت جزءًا منه، تراقبه وترافقه طوال حياته.

عندما غادر رامي وهدت بوابة المدرسة، دوى صوت جرس المدرسة
بطريقة غريبة، وكأنه إعلان بنهاية عهد وبداية عهد جديد.

توقف رامي للحظة، ينظر إلى المدرسة التي بدت ساكنة تمامًا.
"أنت الحارس الأخير..." تردد صدى الكلمات في ذهنه.

وهكذا، أدرك أن رحلته الحقيقية لم تنته، بل بدأت الآن.

النهاية.

اختفاء

مريم... فتاة عادية بعيون الجميع، لكنها تحمل في
أعماقها الغازاَ قادرة على تغيير كل شيء، وسط
عالم مائي بالوجوه المتشابهة، تختبئ قصة تتحدى
المنطق وتجعل كل ما تعرفه موضع شك.
حين تبدأ الحقائق بالتكشاف، ستدرك أن اختفاء
الأشياء ليس دائماً ما يخيف... بل ظهور ما كان
خفياً.

اختفاء ليست مجرد رواية، إنها لغز يترك بين
الحقيقة والخيال.
ويأسرك حتى النهاية.

رنا عزيز المقياضي

